القضية الفلسطينية وجدلية الصراع

د. حسام الخطيب

تمهيد

بعد مضي ثلث قرن من الزمان على النكبة الأولى عام ١٩٤٨، وحوالى قرن على البداءة الرسمية للمؤامرة الصهيونية على فلسطين، تبدو القضية الفلسطينية، من خلال منظور شمولي، شديدة التعقيد والتشعب والتداخل، وتبدو خطوط تطورها غير متساوقة على الاطلاق، فهناك خطوط مستقيمة ممتدة كالسهم في مجالي الوعي التنظيري والعمل الدولي، وهناك خطوط متعرجة متكسرة ولا سيما في مجال العمل العسكري، وهناك خطوط متقطعة ومتداخلة لا تكاد تشير إلى اتجاه كخطوط الوحدة الوطنية؛ وهكذا دواليك.

ومن هنا يكاد أي موقف سياسي أو أي تحليل نظري، بشأن القضية الفلسطينية، يثير من الخلاف والإشكال والتساؤل ما يُلقي في روع المراقب الخارجي أنه لا وجود لاتفاق على شيء وأن الاجماع مفقود والاختلاف هو الأصل. وإن هذه الحقيقة وحدها تستدعي اجراء مراجعات شاملة مستمرة لتطورات القضية، وقد لا يكون من شأن هذه المراجعات أن تأتي بالجديد دائماً، ولكنها تفيد حتماً في وضع النقاط على الحروف والإسهام في تكوين نظرة متماسكة إلى القضية يمكن من خلالها أن تقاس المواقف التفصيلية والمسائل الطارئة والاجتهادات المنهمرة كمطر كانون.

أولاً: جدلية الصراع وطبيعة أطرافه

يمكن أن نتصور الصراع العربي الصهيوني على أنه جدلية (دياليكتيك) أو مشروع جدلية بين ثلاثة أطراف هي: الطرف الصهيوني، الطرف الدولي والطرف العربي.

ونعني بالجدلية* هنا الصراع التوالدي، أي التصادم والتداخل والتشابك، بحيث لا تكون نتيجة الصراع من جنس العوامل التي تدخل في الصراع، وانما تكون تركيباً جديداً ناجماً عن حصيلة قوى الأطراف المتصارعة، مختلفاً عما يريده كل طرف من

(*) من الواضح أن كلمة (جدلية) مستخدمة هنا بمعناها العام لا بمعناها الفلسفي الدقيق.